

النقد البيئي وتحولات الوعي الجمالي المعاصر

مقاربات الطبيعة سرديا وشعريا

- نماذج عربية -

Ecocriticism and Transformations of Contemporary Aesthetic Consciousness
Narrative and Poetic Approaches to Nature
-Arab Case Studies-

شرفاوي نورية¹ (1)

جامعة أحمد بن بلة وهران 1، (الجزائر)

البريد الإلكتروني: nouriacherfaoui@yahoo.com

تاريخ النشر: 2026-06-09	تاريخ القبول: 2026-06-09	تاريخ الإرسال: 2026-05-02
-------------------------	--------------------------	---------------------------

الملخص:

شهد الوعي الجمالي تحولات عميقة في ظل الأزمات البيئية العالمية (الاحتباس الحراري، التصحر، التلوث، الكوارث الطبيعية، الحروب...) إذ لم تعد تمثل فضاءً رومانسياً، بل أصبحت كياناً مهدداً ومجالاً للصراع وموضوعاً للقلق الوجودي. لذا نسعى من خلال هذه الورقة البحثية إلى استكشاف هذه التحولات في ضوء النقد البيئي، بوصفه اتجاهاً يعيد النظر في العلاقة بين الأدب والطبيعة، فينقلها من مستوى الوصف إلى مستوى إيكولوجي ثقافي، من خلال مساءلة تمثيلها في السرد والشعر والكشف عن وظائفها الدلالية التي طرأت على صورتها من خلال بعض النماذج السردية والشعرية العربية.

- فكيف ساهم النقد البيئي في إعادة تشكيل الوعي الجمالي المعاصر؟

- ما المرتكزات النظرية التي يقوم عليها النقد البيئي؟

- كيف تحول تمثيل الطبيعة من رومانسي إلى إيكولوجي؟

- ما مظاهر هذا التحول في البيئة السردية والقصائد الشعرية العربية؟

الكلمات المفتاحية: النقد البيئي، إيكولوجي، الوعي الجمالي، تمثيل الطبيعة، البيئة السردية

¹ شرفاوي نورية

Abstract:

Aesthetic consciousness has undergone profound transformations in light of global environmental crises (global warming, desertification, pollution, natural disasters, wars, etc.). Nature is no longer perceived as a romantic space; rather, it has become a threatened entity, a field of conflict, and a source of existential anxiety. This paper seeks to explore these transformations through the lens of ecocriticism, as an approach that reconsiders the relationship between literature and nature, shifting it from a descriptive level to a cultural-ecological one. This is achieved by examining its representation in narrative and poetry, and by uncovering the semantic functions that have emerged in its imagery through selected Arabic narrative and poetic models.

- How has ecocriticism contributed to reshaping contemporary aesthetic consciousness?
- What are the theoretical foundations of ecocriticism?
- How has the representation of nature shifted from romantic to ecological?
- What are the manifestations of this transformation in Arabic narrative environments and poetic texts?

Keywords: Ecocriticism, Ecology, Aesthetic Consciousness, Representation of Nature, Narrative Environment.

مقدمة:

شهد الفكر الإنساني في العقود الأخيرة تحولات عميقة في النظر إلى العلاقة بين الإنسان والطبيعة، خاصة بعد تفاقم الأزمات البيئية مثل التلوث وتغيير المناخ واستنزاف الموارد الطبيعية. وقد انعكست هذه التحولات على الحقول المعرفية المختلفة ومن بينها الدراسات الأدبية التي شهدت ظهور مقاربات نقدية جديدة تهتم بتمثيل البيئة في النصوص الأدبية، إضافة إلى تحليل الأبعاد الثقافية والفكرية التي تتحكم في تصور الإنسان في علاقته بالبيئة.

ومن هذا المنطلق أصبح الأدب فضاء للكشف عن التحولات التي طرأت على الوعي الجمالي المعاصر إذ لم تعد الطبيعة مجرد خلفية جمالية أو موضوع رومانسي، بل غدت عنصراً فاعلاً في تشكيل الرؤية الثقافية والبيئية للإنسان المعاصر، وبنية دلالية تكشف عن وعي جديد يعيد النظر في مركزية الإنسان ويمنح الطبيعة فاعلية رمزية وجمالية، فكيف أسهم النقد البيئي في إعادة تشكيل الوعي الجمالي المعاصر؟ وكيف تجلت تحولات تمثيل الطبيعة في الخطابين السردى والشعري من منظور إيكولوجي؟

ومن الفرضيات المقترحة نذكر:

- اسهام النقد البيئي في تفكيك المركزية الإنسانية وإعادة الاعتبار للطبيعة.
- تحول الطبيعة من البعد الجمالي الرومنسي إلى البعد الإيكولوجي النقدي الذي يعكس أزمات الإنسان المعاصر
- تداخل الأبعاد الجمالية والأيدولوجية في تمثيل الطبيعة.

حيث يهدف هذا البحث إلى: الكشف عن المرتكزات النظرية للنقد البيئي، ورصد تحولات العي الجمالي داخل النص الأدبي، تحليل تمثيلات الطبيعة في السرد والشعر من منظور إيكولوجي وإبراز العلاقة بين الأدب الرهانات البيئية المعاصرة.

2. النقد البيئي المفهوم والمرتكزات:

1.2 مفهوم النقد البيئي:

إذا كانت البيئة هي الإطار الطبيعي الذي يعيش فيه الإنسان و"هي إجمالي الأشياء التي تحيط بنا وتؤثر على وجود الكائنات الحية على سطح الأرض متضمنة الماء، الهواء، التربة، المعادن، المناخ، الكائنات أنفسهم"² وبالتالي هي مجموعة من الأنظمة المتشابكة مع بعضها البعض. فإن النقد البيئي (Ecocriticism) هو الاجتهاد النقدي الحديث الذي "يدرس العلاقة بين الأدب والبيئة الطبيعية ويركز على تحليل كيفية تمثيل الطبيعة في المنصوف الأدبية كما يدعو إلى الكشف عن الأبعاد الثقافية والفكرية التي تحدد علاقة الإنسان بالمحيط البيئي"³ وقد ظهر المصطلح بشكل واضح في الدراسات الأدبية الغربية منذ سبعينيات القرن العشرين، ويُنسب إلى الناقد ويليام روكبريت الذي استخدمه في مقالته الشهيرة "الأدب وعلم البيئة" سنة 1978 "حيث دعا إلى قراءة الأدب في ضوء الوعي البيئي المتنامي"⁴، الوعي الذي يجعل الإنسان وهو العاقل الوحيد بين صور الإنسان والحياة أن يتعامل مع البيئة بالرفق والحنان، يستثمرها دون إتلاف أو تدمير. ولعل فهم طبيعة مكونات البيئة والعلاقة المتبادلة فيما بينها يمكن الإنسان أن يوجد ويطور موقفاً أفضل لحياته مقابل الحفاظ عليها.

3. الخلفيات الفكرية للنقد البيئي:

لم ينشأ النقد البيئي بمعزل عن التحولات الفكرية المعاصرة، بل ارتبط بعدة روافد معرفية أهمها:

1.3 الفلسفة البيئية:

قضت حكمة الله عز وجل أن يكون الإنسان خليفة له في الأرض (البيئة) التي يعيش عليها كل الكائنات الحية وأن يتمتع بقدرات لا يتمتع بها غيره من المخلوقات حتى عالم الملائكة، قال الله عز وجل "وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا"⁵ ومنذ ظهور النوع البشري كانت هناك تفاعلات بين الإنسان وبيئته وقد جعلت التحولات البيئية "الإنسان يعيش في دوامة من القلق والاغتراب والاضطراب"⁶ ولهذا وجدنا الفلاسفة القدماء أمثال هيراقراط (420 ق م) وأرسطو (284-222 ق م) واسترابول (64-24 ق م) عالجوا التباين الواضح بين الشعوب الآسيوية والأوروبية وأرجعوه إلى "اختلاف البيئات الطبيعية التي يعيشون فيها"⁷، وهذا ما يعني اهتمام الفلسفة منذ الأزل بعلاقة الإنسان بالبيئة، ففي نظر الفلسفة الماركسية "فإن المادة لها وجودها المستقل عن الإنسان وعن شعوره وشعور النفس وبشعور النفس تطور العالم المادي"⁸، أما الوجودية فتري أنه "بدون العالم لا وجود للشخص أو الذات البشرية. وبدون الذات البشرية أو الشخص الإنساني لا وجود

² لمهندسة سحر أمين كانون، البيئة والمجتمع، دار دجلة الأردن، ط1، 2009م

³ النقد البيئي: 2024 ماي International journal on Humanities and Social Sciences 12

⁴ <https://asjp.cerist.dz/en/article/222577>

⁵ القرآن الكريم، سورة الإسراء الآية 70

⁶ محمد سعيد صباريني ورشيد حمد، الإنسان والبيئة، (التربية والبيئة)، الكويت، 1994م، ص4.

⁷ زين الدين عبد المقصود، الهيئة والإنسان: دراسات لمشكلات الإنسان مع البيئة، دار البحوث العلمية ط1، الكويت، 1995م، ص 27.

⁸ محروس سيد مرسى، التربية والطبيعة الإنسانية، دار المعارف، مصر 1998م، ص65.

للعالم⁹ ولهذا لا تنظر الوجودية إلى الإنسان كونه مستخلف بل هو مالك للبيئة وهو المسيطر والأعلى في الرتبة من الموجودات الأخرى في العالم، إنها نظرة فوقية استبدادية.

وفي ظل هذا أصبحت الفلسفات بحاجة إلى معاودة التفكير في شروط العلاقة بين الإنسان والطبيعة، وهذا ما تدعو إليه الفلسفة البيئية، كونها مجالاً فكرياً معاصراً يهتم بدراسة العلاقة بين الإنسان والطبيعة من منظور فلسفي وأخلاقي، إذ تسعى إلى إعادة التفكير في موقع الإنسان داخل المنظومة الكونية وفي حدود سلطته على البيئة التي يعيش فيها وقد برز هذا الحقل المعرفي نتيجة الأزمات البيئية المتفاقمة التي شهدتها العالم في العصر الحديث، مثل التلوث واستنزاف الهواء واستنزاف الموارد الطبيعية واختلال التوازن البيئي، الأمر الذي دفع الفلاسفة والمفكرين إلى مساءلة الرؤى التقليدية السابقة والتي جعلت من الإنسان مركز الكون ومسيطر على الطبيعة ومن ثم تهدف الفلسفة البيئية إلى تأسيس وعي جديد يقوم على احترام الطبيعة والحفاظ على تنوعها، مع الدعوة إلى تبني قيم أخلاقية وسلوكيات مسؤولة تضمن التوازن بين الإنسان ومحيطه الطبيعي بما يحقق استدامة الحياة للأجيال الحاضرة والمستقبلية والاعتراف بقيمة الكائنات الأخرى.

2.3 الدراسات الثقافية:

هي إحدى الخلفيات الفكرية المهمة التي أسهمت في تشكيل النقد البيئي وتطوره، إذ تنطلق من دراسة العلاقة بين الثقافة والمجتمع والسلطة، وما تنتجه هذه العلاقة من تمثيلات ورؤى تؤثر في فهم الإنسان للعالم من حوله.

من هذا المنطلق، أتاحت الدراسات الثقافية للنقد البيئي إطاراً معرفياً واسعاً يمكنه من تحليل كيفية تمثيل الطبيعة والبيئة داخل الخطابات الثقافية والأدبية، والكشف عن الأنساق الفكرية التي تحكم علاقة الإنسان بالطبيعة سواء أكانت علاقة هيمنة واستغلال أم علاقة انسجام وتوازن.

كما ساعدت الدراسات الثقافية على توسيع مجال القراءة النقدية للنصوص، بحيث لم يعد الاهتمام مقتصرًا على البعد الجمالي فحسب، بل امتد ليشمل الأبعاد الاجتماعية والإيديولوجية والبيئية الكامنة في النصوص، وبذلك أصبح النقد البيئي يقرأ الأدب بوصفه خطاباً ثقافياً يعكس تصورات المجتمع اتجاه البيئة، ويسهم في تشكيل الوعي البيئي والدعوة إلى إعادة النظر في أنماط تعامل الإنسان مع الطبيعة مما يرسخ قيم المسؤولية والحفاظ على التوازن البيئي.

3.3 الحركة البيئية العالمية :

لقد أسهمت الحركة البيئية في ظهور النقد البيئي وتطوره إذ نشأت هذه الحركة نتيجة تزايد الوعي بالمخاطر التي تهدد البيئة بفعل التلوث الصناعي والاستغلال المفرط للموارد الطبيعية، وقد برزت منذ النصف الثاني من القرن العشرين دعوات عالمية تدعو إلى حماية الطبيعة والحفاظ على التوازن البيئي الأمر الذي أسهم في نشوء خطاب بيئي متعدد المجالات يشمل العلوم والفلسفة والسياسة والأدب.

ومن هنا ولد النقد البيئي في الحركة البيئية العالمية على أرضية فكرية خصبة إذ استمد منها رؤيته النقدية التي تسعى إلى الكشف عن صورة الطبيعة في النصوص الأدبية وتحليل العلاقة بين الإنسان وبيئته كما تتجلى في الخطاب الأدبي، كما أسهمت هذه الحركة في توجيه اهتمام النقاد إلى ضرورة قراءة الأدب من منظور بيئي يبرز القضايا المرتبطة بحماية الطبيعة واستدامة

⁹ -جان بول سارتر، الوجودية مذهب إنساني، ترجمة: حنا منا، بيروت، ص116.

الموارد ويعمل على تنمية الوعي البيئي لدى الإنسان بما يعزز ثقافة المسؤولية تجاه البيئة ويؤكد أهمية التوازن بين الإنسان والعالم الطبيعي ومن أهم هذه الحركات :

✓ حركة الحفاظ على الطبيعة: Conservation Movement

التي دعت إلى ضرورة حماية الموارد الطبيعية من الاستنزاف المفرط، مرسخة فكرة أن الطبيعة ليست مجرد مورد للاستغلال، بل إرث طبيعي يجب صونه للأجيال القادمة.

✓ الحركة البيئية الحديثة: Le mouvement écologiste moderne

برزت في فترة الستينيات للقرن الماضي نتيجة تزايد القلق من التلوث الصناعي والتدهور البيئي، وقد ساعدت كتابات علمية وأدبية في إثارة الوعي العام بقضايا البيئة، مما أدى إلى ظهور تشريعات بيئية ومؤسسات دولية تعنى بحماية البيئة، كما أسهمت في انتشار الوعي البيئي داخل الخطاب الثقافي والأدبي.

✓ حركة البيئة العميقة: Mouvement Environnemental Profond

والتي تدعو إلى إعادة النظر في مركزية الإنسان وإلى إقامة علاقة أكثر توازناً واحتراماً بين الإنسان والطبيعة.

✓ حركة العدالة البيئية: Environnementale Justice Mouvement

وهي حركة أمريكية تركز على البعد الاجتماعي لقضايا البيئة وتدعو إلى تحقيق العدالة في توزيع الموارد البيئية ومواجهة التلوث.

✓ حركة الاستدامة: Durabilité Mouvement

ظهرت مع تزايد الاهتمام بالتنمية المستدامة حيث أصبحت هذه الفكرة إطاراً مهماً في الدراسات البيئية والإنسانية، وقد أسهمت هذه الحركات مجتمعة في تشكيل وعي عالمي جديد بقضايا البيئة، كما وفرت أرضية فكرية للنقد البيئي يعيد التفكير في العلاقة بين الإنسان والطبيعة في الخطاب الأدبي.

4. مرتكزات النقد البيئي:

يستند النقد البيئي إلى جملة من المرتكزات المعرفية والفلسفية التي تتقاطع فيها حقول معرفية متعددة والتي تقوم على إعادة الاعتبار للطبيعة بوصفها فاعلاً أساسياً في الخطاب الأدبي يقوم على مجموعة من المبادئ النظرية أهمها:

- **المرتکز الجمالي الأدبي:** لا يهمل النقد البيئي البعد الجمالي في النص الأدبي، بل يعيد النظر في جماليات تمثيل الطبيعة داخل العمل الأدبي وكيف تتحول البيئة إلى عنصر فاعل في تشكيل الخطاب الأدبي سواء عبر الوصف أو الرمز أو الاستعارة المرسله بعناصر الطبيعة
- **المرتکز الأخلاقي:** ينطلق النقد البيئي من تصور أخلاقي يهدف إلى تعزيز مسؤولية الإنسان اتجاه البيئة والكائنات الحية الأخرى لذلك يهتم بالكشف عن الخطابات الأدبية التي تدعو إلى حماية الطبيعة أو تنتقد الممارسات التي تؤدي إلى الإخلال بالتوازن البيئي.

➤ **المرتكز المعرفي التداخلي:** يتميز النقد البيئي بطبيعته التداخلية، إذ يستفيد من عدة حقول معرفية مثل علم الاجتماع والأنثروبولوجيا والجغرافيا الثقافية والفلسفة البيئية، مما يمنحه أدوات تحليلية متنوعة تمكنه من قراءة النصوص الأدبية في ضوء علاقتها بالبيئة الطبيعية والإنسانية.

وبذلك تتكامل هذه المرتكزات لتشكل الإطار النظري الذي يقوم عليه النقد البيئي، حيث يسعى هذا الاتجاه إلى قراءة الأدب قراءة جديدة تكشف عن عمق العلاقة بين الإنسان والطبيعة وتسهم في بناء وعي بيئي أكثر اتزاناً داخل الثقافة المعاصرة.

وانطلاقاً من هذه المرتكزات النظرية تسعى هذه الدراسة إلى مقارنة بعض النماذج السردية والشعرية للكشف عن تجليات الخطاب البيئي فيها، بوصفها فضاء تمثلياً يعكس الوعي البيئي في الثقافة الإنسانية، فالنصوص السردية والشعرية تعد مجالاً خصباً تتجلى فيه صور الطبيعة وتمثلاتها الرمزية والجمالية وفيها تتحول البيئة من مجرد خلفية للأحداث إلى عنصر دلالي فعال يساهم في تشكيل الرؤية الفكرية للنص ومن هذا المنطلق يتيح النقد البيئي مقارنة النصوص الأدبية من زاوية جديدة تقوم على تتبع حضور عناصر الطبيعة مثل الصحراء والماء والنبات والحيوان وتحليل الأبعاد الرمزية والثقافية التي تكتسبها داخل البيئة السردية أو الشعرية.

5. تحولات الوعي الجمالي بالطبيعة:

1.5 الطبيعة في الأدب الرومانسي:

شكلت الطبيعة منذ أقدم العصور عنصراً أساسياً لإلهام الشعراء إذ وجد فيها الإنسان فضاء يعكس مشاعره وأفكاره ورؤيته للعالم فالشعر بوصفه تعبيراً فنياً وجدانياً ظل مرتبطاً بعناصر الطبيعة ارتباطاً وثيقاً حيث تحولت مظاهرها المختلفة من سماء وأرض وماء ونبات إلى صور جمالية ورموز دلالية تسهم في تشكيل التجربة الشعرية، ولم تكن مجرد إطار خارجي بل أضحت عنصراً فاعلاً في بناء المعنى.

"وشعر الطبيعة بالمعنى العام هو قسمة بين جميع العصور وبين مختلف البشرية، ويقوم الشاعر نفسه مصوراً للطبيعة كما تمثلها نفسه الحرة التي امتزجت به وتحسسته وقد تناول شعر الطبيعة في العربية كما تناول عند الغربيين الطبيعة الحية والطبيعة الصامتة"¹⁰ وقد تنوع حضور الطبيعة في الشعر تبعاً لاختلاف العصور والاتجاهات الشعرية ففي الشعر القديم حضرت بوصفها مجالاً للوصف والتأمل "فقدموا للإنسانية ما كانوا يجهلون من محاسنها وما ينكرون من فضائلها"¹¹ كما اعتبروها "ينبوعاً للحدث الفني يتفجر داخل الفنان"¹² وكتعبير عن ذلك الإحساس تناول الأدب ألفاظ البيئة الطبيعية في معظم أغراضه الشعرية فقرأ الأدب من صفحات الطبيعة.

¹⁰ سيد نوفل، شعر الطبيعة في الأدب العربي، مطبعة مصر، القاهرة، ص 10.

¹¹ سليم جلول حمريط، العلاقات الدلالية في شعر الطبيعة (النظرية والتطبيق)، دار الأيام للنشر والتوزيع، عمان 2022م، ص 51.

¹² ميشال عاصي: الفن والأدب مطبعة بيروت-لبنان، ط 2، ص 39.

بينما اتخذت في الشعر الحديث أبعاداً رمزية وفلسفية أعمق حيث أصبحت الطبيعة مرآة للذات الإنسانية ووسيلة للتعبير عن القلق الوجودي أو الحنين أو الانسجام مع الكون وهنا "نطالع فلسفة عميقة وروحاً عالية وأفكاراً سامية وشعوراً صادقا وفناء في الطبيعة وتصوراً تاماً لها، ولا نحس بالأوساط الشكلية واللونية"¹³

وعليه فإن دراسة العلاقة بين الطبيعة والشعر تفتح المجال لفهم الكيفية التي يوظف بها الشاعر عناصر البيئة في بناء تجربته الإبداعية، كما تكشف عن طبيعة التفاعل بين الإنسان ومحيطه الطبيعي داخل الخطاب الشعري وما يجعل الطبيعة مكوناً أساسياً في تشكيل الرؤية الشعرية والوعي الجمالي للشاعر "إذا كان خليل مطران هو رائد شعر الطبيعة الأول في الشعر الحديث فإننا أثبتنا تأثير شعراء مدرسة أبولو به في هذا المجال، حتى كان مطران أستاذهم الأول.... وكان لجؤهم إلى الطبيعة لنفورهم الشديد من ضجيج الحياة المادية وصخبها، وعدم قدرتهم على التلاؤم مع تلك الحياة التي تمتص صفاء النفس البشرية"¹⁴ وقد أولت جماعة الديوان اهتماماً خاصاً بالطبيعة في الشعر، إذ نظروا إليها بوصفها منظراً حقيقياً للتجربة الشعرية وليس مجرد موضوع للوصف الخارجي، فالشاعر عندهم لا يكتفي بتصوير مظاهر الطبيعة تصويراً حسيّاً، بل ينبغي أن يعكس من خلالها حالته النفسية وتجربته الداخلية بحيث تصبح الطبيعة مرآة لوجدان الشاعر وأحاسيسه.

فكانت نظرتهم إلى الطبيعة متأثرة بالتيار الرومانسي الغربي، لذلك كانت مرتبطة بالتأمل والوجدان والبحث عن الانسجام بين الإنسان والكون ويتخذها الشاعر كرموز تعبر عن القلق أو الحزن أو الأمل. "فيصبغون الطبيعة بأحزان نفوسهم ويمتزجون بها ويخلطون بينها وبين مشاعرهم الذاتية"¹⁵، ومن هنا أصبحت الطبيعة جزءاً من التجربة الإنسانية وشكلت في الأدب الرومانسي فضاءً جمالياً وروحياً، يعكس توق الإنسان إلى الانسجام مع الكون وملاذاً روحياً ومصدراً للإلهام الجمالي، كما ارتبطت بفكرة أنسنة الطبيعة، إذ يتم تصويرها بوصفها كائناً حياً يشارك الإنسان مشاعره وأحاسيسه.

2.5 الطبيعة في الرؤية الإيكولوجية المعاصرة:

مع تطور الوعي البيئي في العصر الحديث، لم تعد الطبيعة مجرد فضاء جمالياً أو موضوعاً تأملياً، كما سبق وأن ذكرنا، بل أصبحت تمثل منظومة حيوية مهددة بفعل النشاط الإنساني. حيث أصبحت تتناول الرؤية الإيكولوجية المعاصرة للطبيعة من منظور يتجاوز التصورات التقليدية، فقد أدت التحولات الفكرية والعلمية إلى إعادة النظر في العلاقة بين الإنسان ومحيطه الطبيعي، حيث ظهرت توجهات فكرية تؤكد على مبدأ التوازن البيئي، وترى أن الإنسان من منظومة بيئية متكاملة وانطلاقاً من هذه الرؤية أصبحت الطبيعة كياناً حياً تتداخل فيه العلاقات بين الإنسان والكائنات الأخرى والعناصر الطبيعية المختلفة، لذلك تدعو الرؤية الإيكولوجية المعاصرة إلى تجاوز النزعة المركزية الإنسانية التي جعلت الإنسان محور الكون واستبدالها برؤية تقوم على التفاعل والتكامل بين جميع مكونات البيئة.

وقد انعكس هذا التحول في مجالات الفكر والأدب حيث أصبح حضور الطبيعة في النصوص الأدبية مرتبطاً بقضايا بيئية أوسع مثل التوازن البيئي والاستدامة وحماية الموارد الطبيعية، ومن ثم غدت الطبيعة في الخطاب الأدبي المعاصر مجالاً للتأمل النقدي في علاقة الإنسان بالكون، كما أصبحت رمزاً للتنبيه إلى المخاطر التي تهدد البيئة نتيجة الممارسات الإنسانية غير المتوازنة.

¹³ السيد نوفل، شعر الطبيعة في الأدب العربي، دار المعارف، ط2، ص 317

¹⁴ - نفسه، ص 83

¹⁵ سيد نوفل: شعر الطبيعة في الأدب العربي 12.

وبذلك تؤكد الرؤية الإيكولوجية المعاصرة أن فهم الطبيعة لا يتحقق من خلال النظر إليها كموضوع جمالي فحسب، بل باعتبارها منظومة حيوية تشكل أساس استمرار الحياة، وهو ما يدفع الفكر الإنساني والأدبي إلى إعادة صياغة العلاقة بين الإنسان والطبيعة على أسس من الوعي والمسؤولية البيئية.

وفي هذا السياق أصبح الأدب المعاصر يعكس القلق المتزايد من تدهور البيئة ويكشف عن توتر العلاقة بين الإنسان والطبيعة، ومن ثم تحولت الطبيعة في الخطاب الأدبي إلى عنصر فاعل يعبر عن الأزمات البيئية التي يعيشها العالم المعاصر ومن هنا انتقلت الرؤية من الجمالية الرومانسية إلى الجمالية البيئية الإيكولوجية وهذا ما يمثل الانتقال من جمالية التأمل في الطبيعة إلى جمالية الوعي البيئي وأصبحت بذلك الطبيعة مجالا للتفكير النقدي في علاقة الإنسان بالعالم الطبيعي.

6. تمثيل الطبيعة في السرد والشعر العربي المعاصر:

1.6 تمثيل الطبيعة في الخطاب السري العربي:

يبرز حضور الطبيعة في السرد العربي المعاصر بوصفها عنصراً بنوياً في تشكيل العالم الروائي، كما يظهر ذلك في روايات الكاتب الليبي إبراهيم الكوني من خلال روايتي: «نزيف الحجر»، و«التبر» حيث تتحول الطبيعة إلى كيان رمزي يعكس العلاقة الإنسانية بالكون.

2.6 تمثيل البيئة الصحراوية في رواية «نزيف الحجر»:

تعد رواية «نزيف الحجر» من أبرز النصوص السردية العربية التي يمكن قراءتها في ضوء النقد البيئي، إذ تتحول الصحراء فيها إلى فضاء دلالي مركزي يعكس العلاقة العميقة بين الإنسان والطبيعة.

تقوم الرواية على تصور مغاير للطبيعة مقارنة بالتصورات التقليدية في السرد، حيث لا تُقدم الصحراء بوصفها مجرد خلفية مكانية للأحداث، بل بوصفها كياناً حياً يمتلك هذه الرؤية، في شخصية الراعي "أسوف" الذي يعيش في انسجام روحي مع الصحراء، والكائنات التي تسكنها، وخاصة "الوعل" الذي يتحول في الرواية إلى رمز للطبيعة البرية التي تتعرض للتهديد بسبب جشع الإنسان.

ومن منظور النقد البيئي تكشف الرواية عن صراع بين نموذجين من العلاقة مع الطبيعة:

أ- علاقة الانسجام: التي يمثلها الإنسان الصحراوي المرتبط بقوانين البيئة.

ب- علاقة الهيمنة والاستغلال: التي يمثلها الصيادون القادمون من الخارج.

ويظهر هذا الصراع في مشاهد مطاردة "الوعل" حيث تتحول عملية الصيد إلى رمز لانتهاك التوازن البيئي ومن ثم تصبح الطبيعة في الرواية ضحية للعنف البشري، وهو ما يتجلى في العنوان ذاته "نزيف الحجر" الذي يوحي بأن الطبيعة نفسها تنزف نتيجة تدخل الإنسان.

ومن هذا المنظور يمكن القول، إن الرواية تعيد صياغة العلاقة بين الإنسان والطبيعة من خلال رؤية إيكولوجية تجعل الصحراء كائناً حياً يمتلك بُعداً روحياً وأخلاقياً وفي إشارة من الكاتب لقدسية الصحراء وقوانينها يقول في الرواية:

«إنّ الصحراء لا تمنح أسرارها لمن يحاول امتلاكها بل لمن يتعلم الإصغاء إلى صمتها»¹⁶.

وهنا تتحول الصحراء إلى كيان يمتلك قوانينه الخاصة، ويصبح الإنسان مُطالباً باحترام هذه القوانين بدل الهيمنة عليها.

3.6 تمثيل الطبيعة في رواية "التبر" لإبراهيم الكوني:

رواية "التبر" هي نموذج آخر لتمثيل الطبيعة في السرد العربي المعاصر حيث تبرز الصحراء بوصفها فضاء رمزياً يعكس العلاقة المعقدة بين الإنسان والعالم الطبيعي، تدور الرواية حول علاقة "الراعي" "بجمله" وهي علاقة تتجاوز البعد النفعي لتتحول إلى رابطة وجودية عميقة، فالجمال في الرواية ليس مجرد حيوان، بل شريك للإنسان في مواجهة قسوة الطبيعة الصحراوية.

ومن منظور النقد البيئي، تكشف الرواية عن رؤية فلسفية للطبيعة. تقوم على فكرة الوحدة الكونية حيث يشكل الإنسان والحيوان والطبيعة منظومة واحدة، وتظهر هذه الفكرة في الطريقة التي يصور بها الكاتب الصحراء، إذ تتحول الرمال، والنجوم، والرياح إلى عناصر فاعلة في تشكيل التجربة الإنسانية.

يقول الكاتب في وصف علاقة الراعي بجمله قائلاً:

«لم يكن الجمال مجرد دابة في الصحراء، بل كان رفيق الروح في وحدتها»¹⁷

مقطع يعكس تصوراً بيئياً للعلاقة بين الإنسان والحيوان حيث تتحول العلاقة من علاقة نفعية إلى علاقة وجودية ويكشف هذا التصور عن تصور إيكولوجي يرى أن الإنسان جزء من شبكة الحياة التي تضم الكائنات الأخرى. كما تعكس الرواية نقداً ضمنياً للنزعة المادية التي تدفع الإنسان إلى استغلال الطبيعة، إذ يتحول البحث عن "الذهب" ("التبر") إلى رمز لجشع الإنسان الذي يهدد التوازن الطبيعي وبذلك تقدم الرواية تصوراً جمالياً جديداً للطبيعة، يقوم على رؤية إيكولوجية تجعل العلاقة بين الإنسان والطبيعة علاقة تكامل لا علاقة هيمنة.

ويتحول الذهب في الرواية إلى علامة رمزية تشير إلى النزعة الاستهلاكية حيث يقابل "الكوني" بين حكمة الصحراء القائمة على الزهد والتوازن وبين اندفاع الإنسان وراء التملك من خلال هذا النقيض يقدم النص رؤية قريبة من التصور الذي يطرحه النقد البيئي، إذ يكشف كيف يقود الطمع الإنساني إلى اختزال العلاقة بين الإنسان والبيئة.

وهكذا تتحول الرواية، إلى خطاب أدبي يطرح سؤال المسؤولية الإنسانية تجاه الطبيعة ويبرز ضرورة استعادة علاقة أكثر انسجاماً مع البيئة تقوم على القناعة واحترام قوانينها. وبالتالي كشف "الكوني" من خلال الروايتين عن تحول مهم في تمثيل الطبيعة داخل السرد العربي المعاصر حيث لم تعد البيئة مجرد إطار مكاني للأحداث، بل أصبحت عنصراً بنوياً في تشكيل الرؤية السردية، وتبرز الصحراء في هذين الروايتين بوصفهما منظومة إيكولوجية متكاملة، الأمر الذي ينسجم مع توجهات النقد البيئي التي تسعى إلى إعادة التفكير في علاقة الإنسان بالعالم الطبيعي.

4.6 تمثيل الطبيعة في رواية "مدن الملح" لعبد الرحمن منيف:

¹⁶ إبراهيم الكوني، "نزيف الحجر"، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت-لبنان: ط1، 1990م، ص34.

¹⁷ إبراهيم الكوني، "التبر"، دار التنوير للطباعة والنشر، 1992م، ص45.

تعد من أبرز الروايات العربية التي تناولت التحولات البيئية والاجتماعية في العالم العربي، مع اكتشاف "النفط" إذ تقدم الرواية تصوراً نقدياً للتغيرات العميقة التي طرأت على البيئة الصحراوية، نتيجة التوسع الصناعي والاقتصادي تدور أحداث الرواية في واحة صحراوية هادئة تعيش في انسجام طبيعي مع البيئة المحيطة، حيث يعتمد السكان على موارد الطبيعة المحدودة، وقيمون علاقة متوازنة مع الصحراء غير أن هذا التوازن سرعان ما ينهار مع وصول شركات النفط الأجنبية، التي تبدأ في استغلال الموارد الطبيعية وبناء المنشآت الصناعية. وفي هذا يقول الكاتب:

«اقتلعت الأشجار واختفت العيون، وتغيرت الصحراء التي عرفها الناس»¹⁸

يكشف هذا المقطع عن تحول جذري الذي أحدثه التوسع الصناعي في البيئة الصحراوية، فاختفاء الأشجار، والعيون المائية يشير إلى اختلال التوازن البيئي نتيجة تدخل الإنسان في النظام الطبيعي ومن ثم تعكس الرواية رؤية نقدية للحادثة الصناعية التي تقوم على استغلال الموارد الطبيعية.

وتتحول على إثره الصحراء من فضاء طبيعي متوازن إلى فضاء صناعي خاضع لمنطق الاستغلال الاقتصادي، بعد اكتشاف النفط، ويكشف هذا التحول عن صراع بين النمطين الحضاريين، نمط تقليدي يقوم على التعايش مع البيئة ونمط حديث يقوم على استغلال الموارد الطبيعية دون اعتبار للتوازن البيئي.

ومن منظور النقد البيئي، تمثل الرواية لحظة تحول جذري في علاقة الإنسان بالطبيعة، إذ تنتقل الصحراء من فضاء طبيعي متوازن إلى فضاء صناعي خاضع لمنطق الاستغلال الاقتصادي، وتبرز هذه التحولات في وصف الكاتب لتدمير الواحة وقطع الأشجار وتجفيف الموارد المائية من أجل إقامة المنشآت النفطية. وقد مثلت هذه الروايات الثلاث كنماذج سردية عربية التحول المهم في الوعي الجمالي المعاصر إذ انتقلت الطبيعة من كونها موضوعاً جمالياً أو خلفية للأحداث، إلى عنصر دلالي يكشف عن الأزمات البيئية التي يعيشها الإنسان الحديث، كما يظهر السرد العربي المعاصر وعياً متزايداً بضرورة إعادة التفكير في علاقة الإنسان بالعالم الطبيعي وهو ما يتقاطع مع الرؤية التي يطرحها النقد البيئي في دراسته للأدب.

5.6 تمثيل الطبيعة في الخطاب الشعري العربي المعاصر:

شهد الخطاب الشعري العربي المعاصر تحولات ملحوظة في طريقة التمثيل الطبيعة داخل النص الشعري، حيث أصبحت فضاءً دلاليًا غنياً تتقاطع فيه التجربة الوجدانية للشاعر مع رؤيته الفكرية للعالم. فقد أفضت تحولات الثقافة والفكرية التي عرفها العصر الحديث إلى إعادة النظر في العلاقة بين الإنسان والطبيعة، الأمر الذي انعكس بوضوح في بنية القصيدة المعاصرة، حيث تحولت عناصر الطبيعة إلى رموز وإشارات تعبر عن قلق الإنسان المعاصر وتطلعاته وأسئلته الوجودية.

وفي هذا السياق غدت الطبيعة في الشعر العربي المعاصر حاملاً دلاليًا يتجاوز بعدها الحسي إلى أبعاد رمزية وفلسفية، إذ يوظفها الشاعر بوصفها مرآة تعكس تجربته الذاتية وتوتراته الداخلية كما يستحضرها أحياناً للتعبير عن اختلال العلاقة بين الإنسان وبيئته ومن ثم أصبح تمثيل الطبيعة في الخطاب الشعري المعاصر مجالاً خصباً للكشف عن تحولات الوعي الجمالي والبيئي في التجربة الشعرية العربية الحديثة.

¹⁸ عبد الرحمن منيف، زمن الملاح، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، 1984، ص118

6.6 تمثيل الطبيعة في شعر محمود درويش:

يقول "محمود درويش": في مقطع من قصيدة "على هذه الأرض"

«على هذه الأرض التي أعرفها

كل حجر وكل شجرة تحكي

قصة غياب الماء والهواء النقي»¹⁹

ومن منظور النقد البيئي : في هذا المقطع يُظهر الشاعر اهتماماً بيئياً واضحاً إذ تُصبح الأرض عنصراً فاعلاً يعكس الأزمة البيئية، والتهديد الوجودي للطبيعة ويعكس وعياً بيئياً متقدماً، حيث تصف الطبيعة نفسها ككيان يعاني من استنزاف الموارد.

فمن منظور الإيكوبوتيك (Ecopoetics) يتحول الشعر إلى فضاء للتفاعل مع الطبيعة، حيث توظف الصورة الشعرية لإظهار العلاقة المتبادلة بين الإنسان والأرض، وتحذر من التدهور البيئي وهذا يشبه ما نراه في الروايات البيئية لكنه في الشعر يأخذ شكلاً جمالياً وتأملياً.

7.6 توظيف الطبيعة في شعر أدونيس:

يقول "أدونيس":

«الرياح تحمل الرمال، كأنها دماء الأرض»²⁰

والجبال تبكي صمتاً فقدانه»

من منظور النقد البيئي فإن هذا المقطع يبرز الإيكولوجية بين الإنسان والطبيعة في الشعر الحديث، إذ تتحول العناصر الطبيعية والرياح - الرمال - الحياة إلى رموز للخطر البيئي والخراب الناتج عن تدخل الإنسان. وبالتالي فالنص يجسد فلسفة الإيكوبوتيك إذ يتم تمثيل الطبيعة ككائن حي ذو صوت ومصير ويحث الإنسان على إدراك دوره في حماية البيئة، كما يعكس التحول من الطبيعة الرومانسية إلى الطبيعة ذات الوعي البيئي بما يتماشى مع التحولات التي شهدتها الروايات الثلاث السابقة.

8.6 توظيف الطبيعة في شعر نازك الملاك:

تقول الشاعرة في قصيدة: "الشجرة القمر"

على قمة من جبال الشمال ...

¹⁹ محمود درويش، أوراق الزيتون، دار الآداب، عُمان، 2000م، ص 54.

²⁰ أدونيس: أعماله الشعرية الكاملة، دمشق، دار الطليعة 1998 ص 76

كساها الصنوبر وأفق مخملي وجوّ مُعَبِّر .

وترسو الفراشات عند ذراها لتقضي المساء

وعند ينابيعها تستحم نجوم السماء...

يشربُ عطر الصنوبر والياسمين الحنظل²¹

يُظهر النص كيف أن الطبيعة ليست مجرد خلفية تصويرية بل تقوم بدورها الفعال في التعبير الشعوري والرمزي، فالجبال والصنوبر والياسمين...) تعمل كلها كعناصر رمزية تحمل دلالات متعددة الصنوبر والزهور: تمثل الحياة والجمال الطبيعي، الماء انعكاساً للصفاء والانعكاس الداخلي.

وهنا تتفاعل التجربة الإنسانية مع الطبيعة. فوصف المشهد الطبيعي ليس هدفه مجرد تصوير بل تشخيص المشاعر والأحلام حيث ترتبط الطبيعة بأحلام المرء وحياته ومن هنا كانت الطبيعة تمثل الأرض الخصبة للخيال، فقد يصبح المشهد الطبيعي مرآة داخلية للشاعر أو الذات داخل النص فمنظر الفراشات والنجوم والسماء...) يجعل للطبيعة حضوراً ميتافيزيقياً يعبر عن أعمق التجارب الإنسانية.

ومن خلال هذا المقطع الشعري وجدنا الطبيعة تجاوزت الوظيفة الزخرفية لتصبح عنصراً فاعلاً في الخطاب الشعري. ومن هنا نخلص إلى:

- جمالية الخطاب البيئي في الأدب:

يمثل الخطاب البيئي في الأدب أحد أبرز مظاهر التحولات للجمالية المعاصرة إذ لا يقتصر على وصف الطبيعة كمجرد خلفية للأحداث بل يجعلها عنصراً فاعلاً في النص ويشارك في بناء المعنى الدلالي والجمالي ويمتاز هذا الخطاب بعدة سمات جمالية رئيسية:

1- الطبيعة كائن حي حيث يعالج الأدب البيئي الطبيعة بصفها فاعلاً حاضراً وذو إرادة كما يظهر في روايتي إبراهيم

الكوني "نزيف الحجر والتبر" حيث تتفاعل الصحراء مع أفعال الإنسان وتقرض قوانينها وفي شعر محمود درويش حيث تعكس الأرض والهواء توازن الحياة أو اختلالها.

2- الرمزية البيئية: حيث تستخدم عناصر الطبيعة من جبال وأشجار ورياح إلى رموز جمالية فلسفية تعكس أزمة الإنسان

ويظهر ذلك في شعر أدونيس ونزار قباني، حيث يصبح كل من الرمل والبحر والرياح حاملاً للمعنى البيئي والجمالي في الوقت ذاته.

3- التكامل بين الإنسان والطبيعة: إن الخطاب البيئي الجمالي يبرز العلاقة العضوية بين الإنسان والعالم الطبيعي، بدلا

من النظر إلى الطبيعة كموضوعين منفصلين، وهذا يتمظهر في رواية مدن الملح لروائي عبد الرحمن منيف حيث حول استغلال النفط البيئي إلى كائن مضطرب يعكس القلق الحضاري والبيئي.

²¹ تارك الملائكة- شجرة القمر، دار العلم للملايين بيروت، مكتبة النهضة بغداد، ط1، 1968م، ص 30

4-الموسيقى اللغوية والصور الشعرية: يعتمد الخطاب البيئي على صور حسية ولغوية متقنة تعكس حيوية الطبيعة، ما يجعل القارئ يتفاعل مع البيئة داخل النص ويشعر بوجودها ككيان حي.

5-المقاربة الإيكوبوتيكية: في الشعر الحديث يتحول الخطاب البيئي إلى وعي جمالي متكامل، حيث تتجاوز الطبيعة والإنسان وتصبح كل صورة شعرية رمزا للتوازن البيئي، أو التحذير من اختلاله وبالتالي فإن جماليات الخطاب البيئي تتم بدمج الحسية الشعرية الدلالية الرمزية، والوعي النقدي البيئي فهي تجعل الطبيعة عنصرا مركزيا في البناء الفني للنص، وتؤكد على أن الأدب المعاصر لم يعد مجرد فضاء جمالي منفصل عن البيئة، بل أصبح أداة للتفكير البيئي والتأمل في العلاقة بين الإنسان والطبيعة.

7. خاتمة:

في الختام يتضح أن النقد البيئي ليس مجرد دراسة للطبيعة في الأدب، بل هو إطار فلسفي وجمالي يعيد تشكيل وعي القارئ والكاكتب تجاه البيئة، فقد أظهرت الروايات العربية المعاصرة كيف تتحول الطبيعة من خلفية صامتة إلى كيان حي يؤثر ويتأثر بفعل الإنسان بما يعكس التحولات البيئية والاجتماعية في العالم المعاصر. وبالموازاة، أتاح الشعر العربي الحديث للبيئة أن تصبح عنصرا شعريا وفنيا فاعلا كما في نصوص محمود درويش وأدونيس ونزار قباني والسياب وغيرهم، حيث تتحول الطبيعة إلى رمز حي يعكس الانسجام أو الاختلال البيئي ويجسد وعي الإنسان بمحيطه ضمن هذا العالم.

إن التزاوج بين السرد والشعر ومنظور الرواية النقدي والشعري يبرز جمالية الخطاب البيئي، ويؤكد أن الأدب المعاصر قادر على تشكيل وعي جمالي وبيئي متكامل، وبذلك يصبح الأدب أداة ليس فقط للتأمل الجمالي بل للتفكير النقدي في العلاقة بين الإنسان والطبيعة وحمايته البيئية بما ينسجم مع التحولات الثقافية والفكرية في العالم اليوم.

8. قائمة المراجع:

- القرآن الكريم سورة الإسراء - ورش -
- أدونيس: أعماله الشعرية الكاملة، دمشق، دار الطليعة 1998
- إبراهيم الكوني، "التبر"، دار التنوير للطباعة والنشر، 1992
- إبراهيم الكوني، "نزيف الحجر"، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت-لبنان: ط1، 1990
- سيد نوفل، شعر الطبيعة في الأدب العربي، مطبعة مصر، القاهرة
- سليم جلول حمريط، العلاقات الدلالية في شعر الطبيعة (النظرية والتطبيق)، دار الأيام للنشر والتوزيع، عمان 2022
- النقد البيئي: 2024 ماي، International journal on Humanities and Social Sciences 12
- المهندسة سحر أمين كانون، البيئة والمجتمع، دار دجلة الأردن، ط1، 2009م
- جان بول سارتر، الوجودية مذهب إنساني، ترجمة: حنا منا، بيروت

- زين الدين عبد المقصود، الهيئة والإنسان: دراسات لمشكلات الإنسان مع البيئة، دار البحوث العلمية ط1، الكويت، 1995م
- عبد الرحمن منيف، زمن الملاح، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، 1984
- محمد سعيد صباريني ورشيد حمد، الإنسان والبيئة، (التربية والبيئة)، الكويت، 1994م
- محروس سيد مرسى، التربية والطبيعة الإنسانية، دار المعارف، مصر 1998م
- محمود درويش، أوراق الزيتون، دار الآداب، عُمان، 2000م
- ميشال عاصي: الفن والأدب مطبعة بيروت-لبنان، ط2
- نازك الملائكة-شجرة القمر، دار العلم للملايين بيروت، مكتبة النهضة بغداد، ط1، 1968م
- <https://asjp.cerist.dz/en/article/222577>